الدعوة إلى اللـه

للفقير إلى ربـــه
محمد بن إبراهيم التويجري

الطبعـــــة الثـــالثـــة
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهـــداء

• تمضي الأيام والشهور ... وتسري الأعوام والقرون ... وتلك خزائن الأعمال خيراً كانت أو شراً .

• وتعاقبت الأمم جيلاً بعد جيل ، وهم صنفان لا ثالث لهما ... أهل الحقِّ ... وأهل الباطل ... أهل الإيمان ... وأهل الكفر ... وتلك أمم قد خلت ، وهي مرهونة بما عملت .

• وفي أيَّامنا هذه ، وقد حل بالأمة مالا يخفى ، فأصبحت تابعة لا متبوعة ... سامعة لا مسموعة ، بسبب إعراضها عن دينها ومصدر عزّها وفلاحها ، هذا من جهة ... ومن جهة أخرى فقد عمَّ الكفر أرجاء الأرض إلا ما رحم الله .

• فإلى كلِّ مسلم ومسلمة في مشارق الأرض ومغاربها ، أهدي هذه الرسالة المختصرة راجياً من الجميع بعد الاستفادة العمل حسب الطاقة ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله .

• كما أهدي هذه الكلمات بوجه خاص إلى كل عالم يدعو إلى دين الله بلسانه وقلمه ، راجياً من الله أن يجزيه خير الجزاء على ما قدم ويقدم في مجال الدعوة إلى الله ، وتنوير بصائر الأمة بالحق والهدى .

ووصيتي إليه وإلى كل مسلم ومسلمة إخلاص النية ، ومضاعفة الجهد من أجل حفظ دين الله ، ونشره، وتبليغه ، والدعوة إليه في أنحاء الأرض ، وخاصَّة في هذا الزَّمان الذي كثرت فيه الفتن ... وحلَّت فيه المصائب ... ونشط فيه دعاة الباطل .

اللهم اهدنا سواء السبيل ... واكتبنا من عبادك المصلحين ، ووفقنا لطاعتك وطاعة رسولك ﷺ ، واغفر لنا الزَّلات والعثرات ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أخوك ... محمد بن إبراهيم التويجري.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ، أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

إنّ الله سبحانه وتعالى خلق الجنَّ والإنس ليعبدوه وحده لا شريك له.

لم يسألهم رزقاً لأنه يملك الرِّزق كله ، ولم يسألهم طعاماً لأنَّه وحده الذي يُطعِم ولا يُطعَم ، وله خزائن السَّموات والأرض : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦ – ٥٨].

ولا عبادة لله سبحانه إلا بعلم منه ، ولا علم إلا بوحي ، ولا وحي إلا برسول : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل/ ٣٦] .

فكان أن أنزل الله الكتب ، وبعث الأنبياء والرُّسل ، بياناً للحقِّ ، وإقامة للحجة ، ورحمة بالخلق: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[النساء/ ١٦٥].

وكان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة ، حتى بعث الله نبينا محمَّداً ﷺ إلى النَّاس كافة وقال له : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[الأعراف/ ١٥٨].

فكان عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين وأفضلهم ... وكتابه آخر الكتب وأكملها ... ودينه آخر الأديان وأتمّها ... وأمّته آخر الأمم وأفضلها ... وقد شرفها الله بحمل الرسالة ، وإبلاغ دينه ؛ لتسعد البشرية كلها بعبادة ربها ، واتباع رسولها في نيته وأقواله وأعماله وأخلاقه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

واعلم أيها المسلم أنك من خيرأمة أخرجت للناس...وأنك نائب النبي ﷺ في أمته...ولك به أسوة في سيرته وسنته،ودعوته وعبادته... ولتسعد في الدنيا والآخرة فعليك بالاقتداء بنبيك ﷺ في القيام بالدين ، وحسن سيرته في إقامة الدين ، تنال بذلك الأجر العظيم يوم الدين : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب/ ٢١] .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه الفقير إلى مولاه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

المملكة العربية السعودية / بريدة

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢ - ٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

البريد الإلكتروني:Mb_twj@hotmail.com

موقعنا على الأنترنت (هذا الإسلام) hatha-alislam.com/index

الرسـول ﷺ .. والدعـوة

إن الله ﷻ بعث رسوله ﷺ إلى النَّاس كافَّة ليخرج النَّاس من الظلمات إلى النَّور ، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد ، وينقلهم بإذن ربِّه من الباطل إلى الحقِّ ... ومن الضَّلالة إلى الهداية ... بل من الشَّرِّ بحذافيره إلى الخير بحذافيره : ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾[إبراهيم/ ١].

فقام ﷺ بذلك خير قيام ، ودعا وبلغ حتى ترك الأمّة على المحجَّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

لقد أوحى الله ﷻ إلى رسوله ﷺ لينذر أمَّ القرى ومن حولها فقال : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾[الشورى/ ٧].

فاستجاب ﷺ لأمر ربِّه ، ودعا إلى الإسلام في مكّة وما حولها ثلاثة عشر عاماً ، ليلاً ونهاراً ، سرّاً وجهاراً ... يدعو القريب والبعيد ، والحاضر والباد : ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾[إبراهيم/ ٥٢] .

ثم انتقل ﷺ بالدَّعوة إلى المدينة ، وجاهد في الله حقَّ جهاده ، وضرب في فجاج الأرض شمالاً وجنوباً ، شرقاً وغرباً ، يبلغ رسالة ربِّه ويدعو إليها:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة/ ٦٧] .

لقد ظهر رسول الله ﷺ في مكّة فوجدها أمَّة ضالَّة يقودها الشيطان والهوى إلى كلِّ شرٍّ وفاحشةٍ ، تُعبد فيها الأصنام ... ويُظلم فيها النَّاس ... وينتشر فيها الزِّنا والرِّبا ... وتُشرب فيها الخمور ... وتُوءد فيها البنات ... ويحكم فيها الكاهن والعرَّاف : ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾[آل عمران/ ١٦٤] .

لقد بُعث ﷺ في مجتمع يتخبط في الظلمات والأهواء والشهوات ... مجتمع ضلَّ عن الحقِّ فوقع في الباطل ... فكان الكفر ... وكان الكبر ... وكان الفخر ... وكان الظلم ... وكان الفساد .

بُعث ﷺ في مجتمع يموج بالظلمات ، ويغرق في بحار الجاهليّة الأولى ، فأنذر الأمَّة ودعاها إلى الإسلام : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧ ﴾ [المدثر/ ١ – ٧].

لقد كانت دعوته ﷺ فيها الحلم كله ... والرِّفق كله ... والصدق كله ... والحكمة كلها ... والرحمة كلها : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

فاستجابت له الأمّة ، وانشرحت لدعوته الصُّدور ، ودخل النَّاس في دين الله أفواجاً: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾ [النصر/ ١-٣] .

لقد كان ﷺ رحمة للعالمين ، دلّ الأمَّة على الطريق المستقيم ، ودعاها إلى كلِّ خير ، وحذّرها من كلِّ شرٍّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝٤٨ ﴾ [الأحزاب/ ٤٥- ٤٨].

وقد اجتهد ﷺ في الدعوة حتى دخل النّاسُ في دين الله أفواجاً ، وبقي منهم بقيّة أعرضت ولم تدخل في هذا الدِّين لا تكذيباً؛ بل حسداً وجحوداً : ﴿ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ۝٣٣ ﴾ [الأنعام/ ٣٣].

لقد وقف ﷺ أمام هؤلاء ، ودعاهم إلى دين الله ، وبيَّن لهم الحقَّ من الباطل ... والهدى من الضلالة ، وحرص ﷺ على هدايتهم وإدخالهم في هذا الدِّين ، وضاق صدره من شدة إعراضهم : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾ [الكهف/ ٦].

لكن هداية التوفيق ليست إليه ، بل بيد الهادي الذي يعلم من يشكرها ويصلح لها : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٥٦ ﴾ [القصص/ ٥٦].

لقد كانت الدعوة إلى الله همّه ، بل رسالته ﷺ ، حيث اصطفاه ربُّه من بين سائر النَّاس ، وكلَّفه بالرِّسالة ، وإبلاغ هذا الدين ، والدَّعوة إليه فقال سبحانه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٥].

فكانت حياته ﷺ كلها دعوة، تشريفاً له ولأمته بهذا العمل العظيم، بدعوة الناس إلى رب الناس : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

فقام ﷺ بالدَّعوة خير قيام ... وبلَّغ الرِّسالة ... وأدَّى الأمانة ... ونصح الأمَّة ... وجاهد في الله حقَّ جهاده ، حتَّى أكمل الله به هذا الدِّين ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣].

لقد كان ﷺ جميلاً في خَلقه...عظيماً في أخلاقه...حليماً في تربيته...قوياً في عبادته ... لطيفاً في معاملته ... كريماً في دعوته ... يحب في الله ... ويبغض في الله...ويُعطي لله...ويمنع لله...يصل من قطعه...ويعطي من حرمه ... ويعفو عمن ظلمه ... ويحسن إلى من أساء إليه ... فصلوات الله وسلامه عليه ... ولهذا قال عنه ربُّه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

لقد دعا ﷺ فكان إماماً للدُّعاة ، وصلَّى فكان إماماً للمصلين ، وذكر ربه فكان إماماً للذاكرين ، وعبد ربه فكان إماماً للعابدين ، وجاهد في سبيل الله فكان إماماً للمجاهدين، وأحسن إلى الخلق فكان إماماً للمحسنين ، وتزوج فكان إماماً للمتزوجين ... وربى فكان إماماً للمربين ،فهل نسير على هديه ، ونستنّ بسنَّته؟!

ففي ذلك العز كله ... والخير كله ... والسعادة كلها: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

الإنســان والوحــي

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وأكرمه بالعقل ، وسخَّر له ما في السموات وما في الأرض،وأنزل عليه الكتب، وبعث إليه الأنبياء والرُّسل ليقوم بعبادة ربِّه الَّذي خلقه ورزقه وأكرمه ، ووعده الحياة الطيبة إن آمن وعمل صالحاً : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل/ ٩٧].

لقد أكرم الله الإنسان بالعقل الَّذي يميِّز به بين الحق والباطل ... بين الخير والشر ... بين الطيِّب والخبيث ... بين الحسن والقبيح ... بين الصِّدق والكذب ... بين العدل والظلم ... بين الإيمان والكفر.

هذا الخَلْق مِنْ خَلْق الله فَطَره الله على التَّوحيد : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم/ ٣٠].

ولكن الشياطين جاءت إلى بني آدم فاجتالتهم عن دينهم ، وحرَّمت عليهم ما أحلَّ الله لهم ، وأحلَّت لهم ما حرَّم الله عليهم ، فضلُّوا وأضلُّوا واتَّبعوا أهواءهم : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ/ ٢٠] .

فهل يترك الله البشر هكذا ... ؟ بدون منهج يسيرون على هديه ... ونبي يقتدون بسيرته ... كلا.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد/ ٢٥].

فمهمَّة الأنبياء والرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام إبلاغ دين الله ، والعمل به ، والدَّعوة إليه ، وهداية النَّاس إلى الصِّراط المستقيم ، وتعريفهم به ، وترغيبهم فيه ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

وإذا استبان الحق من الباطل ، والهدى من الضلال، فإن النفوس بفطرتها تنقاد للحق وتحبه ، وترد الباطل وتكرهه ، إلا أن يصرفها صارف من حب شهرة أو شهوة أو رئاسة ، أو يمنعها مانع من كبر أو حسد : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٦] .

وأما هداية العباد ، ودخولهم في هذا الدِّين ، فذلك أمره إلى الله العليم الخبير الذي يعلم بمن يصلح لدار كرامته : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص/ ٥٦].

فعلى الرُّسل بيان الحقِّ ، ودلالة النَّاس عليه ، وترغيبهم فيه : ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النحل/ ٣٥] .

فمن أسلم فقد اهتدى ، ومن تولَّى فما على الرُّسل إلا البلاغ المبين : ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٠].

إن الله ﷻ خلق الإنسان من الأرض ، وأسكنه فيها ، وأنزل عليه الكتب ، وأرسل إليه الرُّسل ، وأكرمه بالسمع والبصر والعقل ، ليقوم بعبادة ربِّه ، وعمارة الأرض على هدى الله ، وهدى رسوله ﷺ : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود/ ٦١].

فمن هو هذا الإنسان ؟ وما هي مادة خلقه؟ وكيف يتلقى التكليف ؟ وماذا ينتظره من الثواب والعقاب ؟

قال أهل الطِّبِّ : إن الإنسان مركب من ستة عشر عنصراً هي عناصر الطين.

أولها الكربون ... وآخرها المنجنيز ، وباختلاف نسب هذه المواد يختلف النَّاس في صورهم ... وأشكالهم ... وألوانهم .. حسب تقدير الله وخلقه لهم .. فسبحان الخالق البارئ المصور : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [السجدة/ ٦-٩] .

فخلق الله آدم من الأرض ... ونفخ فيه من روحه ... وجعل نسله من سلالة من ماء مهين ... واستخلفه في الأرض ... وكلفه بمنهج فكيف تلقى هذا التكليف ...؟

اعلم أن في الإنسان ما يدل على أنه مسيَّر كالنمو، وخلق الأعضاء، وحركتها، ولون الجسم، وطوله وعرضه : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢-٣] .

وفيه ما يدل على أنه مخيَّر كالأفعال التي تصدر عنه من خير أو شر كالصدق والكذب والإيمان والكفر، والطاعة والمعصية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [التغابن/ ٢] .

فالإنسان مسير لا اختيار له في خلقه ولونه وطوله وحجمه، ومخير فله أن يفعل ما يشاء بمحض اختياره، فإن اختار ما ينفعه سعد بهذا الاختيار، وإن اختار ما يضره شقى باختياره : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٩-٣٠] .

فالمؤمن قد اختار الإيمان، والكافر قد اختار الكفر، والله عليم بهذا وهذا، والجميع تحت مشيئة الله، لكن الله أمر بالايمان، ونهى عن الكفر، وأمر بالطاعة، وحذر من المعصية : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير/ ٢٧-٢٩] .

ولولا خلق الله النَّاس مختارين لما استطاعوا أن يكفروا ، فإذا أعطيت طفلاً جنيهاً مثلاً وقلت له اشتر به كتاباً ولا تشتر به لعبة ، فإذا اشترى الطفل لعبة فقد أخذ منك القدرة أولاً ، ولكنه وجهها باختياره نحو ما يحب هو ، وترك ما تحب أنت.

وهكذا الكافر أخذ اختيار الله له بالفعل ، ليتمرد على ما يحبه الله من الإيمان ، ولو أنَّه تمرد على إرادة الله لتمرد على القهريَّات ، فيرد الموت والمرض ، وهذا لا يملكه البشر.

فالكافر لا يتمرد ولا يستطيع أن يتمرد على إرادة الله ، ولكنه يتمرد باستغلال الاختيار ، فيختار ما لا يحبه الله من المعاصي والآثام التي زينها الشيطان له : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ [لقمان/ ٢١] .

ومناط التكليف هو العقل الذي يميز بين البدائل ، فيختار هذا ، ويترك هذا ، ولذلك فإن فاقد العقل لا يكلف من الله ، لأنه فقد أداة التمييز بين البدائل ، فسقط عنه التكليف : ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ** ﴾ [البقرة/ ٢٨٦] .

وما أراد الله هداية البشر جميعاً وهو قادر: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس/ ٩٩].

ولكن حكمته سبحانه اقتضت أن يخلق خلقاً يعرف الحقَّ من الباطل ... يعرف الخير من الشَّر ... يعرف الضلال من الهدى ... يعرف

الكفر من الإيمان ... فيختار ما يختار: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [المزمل/ ١٩] .

والله سبحانه بعلمه المطلق قد علم المؤمنين ، وعلم الكافرين ، فهو علاّم الغيوب ، علم ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، وكيف يكون ، ومتى يكون : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٢].

فمن آمن فله الجنَّة ، ومن كفر فله النَّار : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار/ ١٣-١٤].

والدعوة إلى الله واجبة على جميع الأمة إلى أن تقومَ الساعة كما قال سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤-١٠٥] .

وقد أخبرنا الله عن الكفَّار بقوله : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد/ ١٢] .

والله رؤوف بالعباد ، يدعوهم إلى ما ينفعهم ويسعدهم ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون ، يتبعون أهواءهم التي تضلهم عن ربهم ، وتصرفهم إلى ما يضرهم : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان/ ٤٣-٤٤] .

ومن شأن الأنعام أنها تقاد بسهولة ، وهي محتاجة إلى من يرعاها ويدلها على مواضع الماء والكلأ ، فإذا انقادت وأكلت نفعت نفسها ، ونفعت غيرها.

وهكذا نور الإيمان في قلوب العباد : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[إبراهيم/ ٢٤-٢٥].

ومن أجل هذا كان النبي ﷺ أرحم الخلق بالخلق ، يتنقل بالدَّعوة بين الأماكن والأشخاص . في المسجد والمنزل ... في المدن والقرى ... في الأسواق والطرق ... في الحضر والسَّفر ... في الأودية والقرى ... بين الرِّجال والنِّساء ... والكبار والصِّغار ... والأغنياء والفقراء ... والسادة والعبيد : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[المائدة/ ٦٧] .

لقد كان ﷺ قويّاً في عبادته ... قويّاً في جهاده ... قويّاً في دعوته... رحيماً في معاملته ... حكيماً في تربيته .

وهكذا ينبغي على كلِّ مسلم أن يسيرَ على هديه ، فيكون قويّاً في كلِّ أحواله ، ومعلوم أن للمسلم قوَّتين ، قوَّة على نفسه حيث أسلم ، وقوَّة على الباطل حيث يواجهه...أما الكافر فليس له قوَّة على نفسه، حيث لم يحملها على الإسلام ، لكن له قوَّة على دعوة الباطل يدافع عنها ويحارب الحق ... أما المنافق فليس له قوَّة على نفسه حيث لم

يؤمن ، وليس له قوَّة على دعوة الحق ليواجهها ، وهو أخطر من الكافر: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء/ ١٤٥] .

ولا يظهر النِّفاق إلا حينما تكون قوَّة ، فظهور النِّفاق في المدينة في عهد النُّبوَّة دليل على عزَّة الإسلام وقوته؛ لأن القوي هو الذي ينافقه غيره ... أما في مكَّة فكان الإسلام قبل الهجرة ضعيفاً ، ولذلك فلا نفاق في مكَّة حيث الإيمان صريحاً ... والكفر صريحاً.

وقد دخل النَّاس بفضل الله إلى هذا الدين العظيم في عهد المصطفى ﷺ ، وخلفائه الرَّاشدين رضي الله عنهم ، وأسلمت بلاد كثيرة من العرب والعجم ، كالحجاز واليمن ... وبلاد الفرس والروم ... ومصر والبحرين وغيرها ، وتوإلى نشر هذا الدِّين على مرِّ العصور والأزمان .

يأخذه الخلف عن السَّلف ، ويبلغونه إلى أهل الأرض من حولهم .

فاتَّسعت أرض الإسلام وامتدَّت شمالاً وجنوباً ، وشرقاً وغرباً ... وطابت حياة الأمَّة في ظل الإسلام ، وتحول بفضل الله شر القرون إلى خير القرون ، حيث جاء الإيمان بدل الكفر ، والتوحيد بدل الشرك ، والعدل بدل الظلم ، والعلم بدل الجهل ، والوحدة بدل الفرقة : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨] .

ثم توالت على العالم الإسلامي في أزمنة مختلفة نكبات وأحداث جسام ، انحسرت من خلالها بعض البلاد ... واندرست المعالم والسنن ... وهانت الأمة... وتفرقت إلى دويلات يمزق بعضها بعضاً .
حتى أظهر الله لهذه الأمة من يجدد لها دينها ، ويردّها إلى الصِّراط المستقيم ، فظهر الدِّين نقيّاً صافياً على هدي كتاب الله تعالى ، وهدي رسوله ﷺ .
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إنَّ الله عزّ وجل يبعثُ لهذه الأمَّة على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ من يجددُ لها دينها » أخرجه أبو داود [1] .
وفي هذه الأيا م ... وقد تعددت وسائل الإعلام ... وتنوعت وسائل الاتصال ... واقتربت البلاد والديار ... وانتشر الكفر والفساد ... نرى لزاماً على أمَّة الإسلام أن تَبْلغ بهذا الدين ما بلغ الليل والنَّهار ... وتنشره في سائر الديار والأقطار ؛ تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٥].
وامتثالاً لقوله ﷺ : « بلِّغوا عنِّي ولو آية » أخرجه البخاري [2].
وسيبلغ هذا الدِّين إن شاء الله ما بلغ الليل والنهار كما أخبر بذلك النَّبيُّ ﷺ حين قال : « ليبلغنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنَّهارُ، ولا يترك اللهُ بيتَ مَدَرٍ

(١) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٤٢٩١).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

ولا وَبَرٍ إلا أدخله اللهُ هذا الدِّين ، بعزِّ عزيزٍ، أو بذلِّ ذليلٍ ، عزاً يُعِزُّ اللهُ به الإسلام ، وذلاً يُذِلُّ اللهُ به الكفر » أخرجه أحمد والحاكم[1].

لكن هل جميع النَّاس على وجه الأرض بلغتهم الدعوة ...؟

وإذا كانت لم تبلغهم جميعاً -وهو الأقرب- و فكيف يعيشون في حياتهم الخاصة والعامَّة ...؟

وأيُّ إله يعبدون ...؟ وبأيِّ شريعة يحكمون ...؟ وإلى أي قبلة يتوجهون ؟.

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٧٠٨٢) والحاكم برقم (٨٣٢٦).

الجاهلية المعاصرة

إن أي أمَّة تعيش بلا منهج ينير لها الطريق ، ويمهد لها السبيل ، تفقد كثيراً من خصائص الإنسانية ، وتظلّ كالبهائم ترتع في الشَّهوات ... وتتخبَّط في الرَّذائل والآثام ... تخلط الطيِّب بالخبيث ... وتمزج الحسن بالقبيح ... ويأكل بعضها بعضاً .

إن تعداد سكان العالم قد بلغ سبعة مليارات نسمة طبقاً لبعض الإحصاءات الحديثة.

منهم المسلمون ومنهم الكافرون.

أما المسلمون فهم مليار ونصف إنسان تقريباً ، وأما الكافرون فهم قريباً من ستة مليارات.

وهؤلاء المسلمون منهم ظالم لنفسه ... ومنهم مقتصد ... ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله .

وأمَّا أمَّة الكفر فهي أمَّة تعيش بلا منهج تهتدي به ، فصارت في حياتها كالبهائم ، بل أضلّ من البهائم كما أخبر الله عنهم بقوله : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

[الفرقان/ ٤٤].

أمَّة تعرف كل شيء إلا الله ... وتقرأ كلَّ شيء إلا القرآن ... وتؤمن بكلِّ شيء إلا الإسلام ... وتخاف من كلِّ شيء إلا من الله .

أمَّة إعلامها مرئياً ، ومسموعاً ، ومكتوباً ينشر الرَّذيلة والعهر ليلاً ونهاراً ... أمام الذكر والأنثى ... والصغير والكبير.

بل يُدرس الجنس في مدارسها بلا حياء ولا عفَّة.

وصحفها تموج بالفساد ... والصُّور الماجنة ... والمجلات السَّاقطة ... والرِّوايات الهابطة ... والمسرحيَّات القذرة ... وتروِّج للأفكار السَّامة ... والمذاهب الباطلة .

أمَّة تبيع الشَّرَّ كلَّه بحذافيره في كلِّ مكان ، وتنشر الرذيلة في كل دار .

في السُّوق والطَّريق ... في المرقص والفندق ... في المطعم والمطار ... وعلى متن الطائرة والقطار.

أمَّة تصنع السِّلاح ووسائل التدمير لا للدفاع ، بل للتدمير والاستعمار.

أمَّة فيها المحبة ولكن لما لذَّ وطاب ... فيها الصِّدق ولكن لما يجلب لها من منفعة ... فيها الابتسامة ولكن لمن ترجوه أو تخاف منه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[آل عمران/ ٧٥].

أمَّة كالحيوانات في الشَّهوة ... وكالسباع في القسوة ... وكالشَّياطين في محاربة القيم والكرامة : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١٧] .

أمَّة في الصناعة تعانق نجوم السماء ... وفي المبادئ والأخلاق تهوي إلى قاع البحار.

أمَّة أسواقها وطرقها مليئة بالبنوك الربويَّة ... والمراقص الليلية ... وبيوت العهر والفساد ... وحانات الخمور ... إلى جانب الكنائس والمعابد الشيطانية ... والمحافل الماسونية .

أمَّة تمزَّقت فيها الأسرة ، حيث لا أسرة في بعض البلاد ، وفي البعض الآخر يغادر كل من الابن والبنت المنزل حينما يبلغان سنَّ الرُّشد ، ولا علاقة للأبوين بهما ... وعلى الولد والبنت أن يَشُقَّا طريقهما في الحياة بالعلم أو بالجهل ... بالحقِّ أو بالباطل ... بالفضيلة أو بالرَّذيلة.

وبذلك تحول أكثر الأمَّة إلى قطيع من اللصوص ، والمجرمين ، والسُّكارى ، والبهائم.

يفسدون البلاد ، ويؤذون العباد : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) ﴾ [المائدة/ ٥٠] .

أمَّة اتَّخذت من المرأة مركباً يطؤ الحياء ، والطهر والعفاف .

وأوصلت المرأة إلى آخر محطَّة للرَّذيلة ... فأصبحت المرأة دمية يتسلى بها الرجال في كلِّ مكان في السُّوق والطريق ... في المكتب والمصنع ... في الفندق والمرقص ... تُروَّج بها السِّلع ... وتزيَّن بها الكتب والصُّحف والصناعات.

أحياناً خادمة في مطعم...أو عاملة في فندق...أو مضيفة على متن طائرة...وأحيانا سائقة في سيارة أجرة ...وأحياناً ساقية لرجل ضائع ... أو مسلِّية للتَّافهين في أماكن الرَّذيلة .

تعرض جسمها وشعرها بلا حياء.

تُهدر كرامتها في شبابها ... وتُرمى في دور العجزة في آخر عمرها.

تجالس الرجال في المكتب باسم العمل ... وتقود السيارة باسم المساواة ... وتغني وترقص مع الرجال باسم الحرية .

لقد أوذيت المرأة في حياتها ، وطهرها ، وعفتها ، وهي أم الأنبياء ، وأم العلماء والدعاة والمصلحين والمجاهدين،وحاضنة الأولاد ، ومربية الأجيال .

من ضيعها ؟ من أحرقها ؟ من ظلمها ؟ من أفسدها ؟

إن المرأة في الإسلام هي أغلى الأشياء ... وهي جوهرة ثمينة ... وملكة في بيت زوجها ... وزيرة للتربية والاقتصاد والعمل ... خَرَّجت على مرِّ الأجيال العلماء والمفكرين ... والفقهاء والقادة.

فما أظلم من أهانها وسلبها حقوقها واستعملها في غير ما خُلقت له :

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة/ ٥٠].

إنها أمَّة تنتهك كل حرمة .

فهي مع الكفر تأكل الحرام ... وتشرب الحرام... وتنام على الحرام ... وتصنع الحرام ... وتبيع الحرام ... فأيُّ فساد وظلم بعد هذا ؟

إنها أمَّة لا تفارق مائدة الشيطان في الليل والنهار ، تسهر في الليل أمام أفلام الجنس والدَّعارة ، وينام الواحد منهم أحياناً مع خليلة أو صديقة، ويجتمع في البنك والمكتب على أكل الحرام ، وقول الزُّور والباطل، ويأكل في المطعم ويشرب ما حرم الله من خنزير وخمر ... وهو في الطَّريق يملؤ عينيه من النِّساء الكاسيات العاريات : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد/ ١٢] .

إنَّها أمَّة ضلَّت ، واتَّبعت الهوى ، وقادها شياطين الإنس والجنِّ إلى فساد الأخلاق ، وخراب الدِّيار ، وظلم العباد ، وسفك الدماء ، ونهب الأموال ، حتى فُتح السِّتار على أمَّة تشكو من كل شيء في العالم الاسلامي وغيره .

في الأخلاق والآداب والسُّلوك ... وفي التِّجارة والصِّناعة والزِّراعة ... وفي الأنظمة التشريعية ... والمبادئ التربوية ... وفي وسائل الإعلام والجامعات والمعاهد .

إنها أمَّة غاب عنها الحق فتمرَّغت في الباطل ... منها ما يقدس الفرد ... ومنها ما يقدس الشَّعب .

بعضها يعبد الإنسان ... وبعضها يعبد الشيطان ... وبعضها يعبد الأصنام ... وبعضها يعبد الجنس ... وبعضها يعبد المال ... إنها تعبد المخلوق وتترك الخالق ... وتأكل النِّعم وتنسى المُنعِم.

فأيُّ جهل وجحود فوق هذا؟ وأي فساد وظلم وضلال بعد هذا ؟

إنها أمَّة أخطأت الطريق فضلَّ فيها الحاكم والمحكوم ، جاهل يقود جاهلاً ، والنتيجة جاهلية ضالة مدمِّرة للأمَّة ، فأهتزَّ كيانها ، واضطربت أحوالها ، وتنوعت أمراضها ، وكثرت أوجاعها.

إنها أمَّة لم تعرف النُّور فوقعت في الظلمات .

القوي فيها يأكل الضعيف ... والباطل يزاحم الحقَّ ... والرَّذيلة تسطو على الفضيلة .

إنها أمَّة أفسدت القلوبَ، والعقولَ، والأبدان ، والأعراض ، والأموال ، والديار .

تكفر بالله ... وتشرب المسكرات ... وتتعاطى المخدرات ... وتأكل الخنزير ... وتستحل الفروج ... تغش ولا تبالي ... تظلم ولا تداري ... الحقّ والخير فيها كشجرة مثمرة في صحراء مهلكة : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم/ ٤١] .

هذا وأمثاله تجده واضحاً في جميع أنحاء الأرض التي غاب عنها منهج الله ﷻ .

في قارة آسيا في الهند والصِّين ... وفي بلاد الروس والفلبين ... وفي كوريا واليابان ... وتايلاند وفيتنام وغيرها .

كما تجده أيضاً في أوروبا في بريطانيا وفرنسا...وإيطاليا والنمسا ... وفي ألمانيا وسويسرا...وبلغاريا ورومانيا...وفي السّويدوالنرويج وغيرها.

كما تجده أيضاً في قارة أفريقيا في وسطها وغربها وجنوبها .

كما تجده أيضاً في القارة الأمريكية في الولايات المتحدة وكندا ... وفي المكسيك والبرازيل والأرجنتين وغيرها.

تلك بعض أرض الله الواسعة تشكو من الكفر ... ومن الرَّذيلة ... ومن الفساد ... ومن الظلم ... ومن البغي ... ومن القتل ... ومن الآثام التي تمارس على ظهرها ... بل تشكو بمرارة طغيان الكفر والإلحاد الذي عمَّ أرجاءها ... ومزَّق سكّانها ... فأحالهم إلى قطيع من الأنعام والسِّباع .

وتلك بعض الأمم الضالَّة التي تسكن في أرض الله ، وتأكل من رزق الله ، وتتقلب في نعم الله لا تعرف ربّها وفاطرها، تتمرغ في الشهوات ، وتخوض في المحرمات ، وتكفر برب الأرض والسموات .

فمن يقطع نسل هذا الفساد العريض الذي عم وطم ؟

ومن يغسل هذا الغبار والدخان الذي سَوَّد به الشيطان وجه البشرية التي خلقها الله في أحسن صورة ؟ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين/ ٤-٦] .

أمَّـة بلا منهـج

لا يغرنّك ما تراه في بلاد الكفر من إشادة المصانع ... ومحطات الفضاء ... وصناعة الأسلحة والقنابل ... والصواريخ والطائرات ... ووسائل الاتصال والمواصلات العجيبة ... وغيرها من ميادين الاختراع والابتكار .

فهذه المصنوعات طيبة لكنها وسيلة لا غاية ، ولا خير فيها إن لم تكن بيد من يخاف الله ، ويستعملها في طاعته ، وإظهار دينه ، وإلا جرّت على البشريَّة الويلات والحروب كالسِّكين بيد المجنون ، وشواهد ذلك لا تخفى في الماضي والحاضر .

في روسيا والفلبين ، وفي فلسطين ولبنان ، وفي العراق الدامي ، وفي ليبيا الجريحة ، وفي سوريا الكسيرة : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء/ ١٢٣] .

وكل علم من علوم الدنيا لا يرتبط بالآخرة لا خير فيه قال تعإلى : ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم/ ٦-٧].

ذلك أن الدنيا وسيلة لا غاية ... وإنَّما الغاية الآخرة ... والسَّبيل الإيمان بالله ... والامتحان في الدنيا ... والثمرة الجنَّة في الآخرة .

والكفار لا يؤمنون بهذا ... فجعلوا الوسيلة غاية ، وأرادوا من الدنيا أن تخدمهم ، فاستعبدتهم وفتنتهم وأذلتهم ، حتى عملوا لها ليلاً ونهاراً .

أحياناً فيما ينفعهم ... وكثيراً فيما يضرّهم ... وانفصل العلم عن الدين ... وأخطأت الأمَّة الطريق ... فانقلبت الحياة إلى ظلمات يركب بعضها بعضاً ... وحروب تأكل الأخضر واليابس ... فشَقيَتَ من حيث تريد السعادة ... وخسرت من حيث تريد الرِّبح ... وتلك جناية الكفر شقاء وخسارة ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٣-١٠٤].

إنَّه يعيش ويتحرك الآن على ظهر هذه الأرض سبعة آلاف مليون نسمة أو يزيدون ... أربعة أخماس هؤلاء يسيرون خطأ في الحياة ، على مستوى الفرد والمجتمع والأمة .

فالفرد يعتقد خطأ ... ويكتب خطأ ... ويقرأ خطأ ... ويأكل خطأ ... ويشرب خطأ ... ويعمل خطأ .. ويعبد خطأ ... ويلبس خطأ ... ويتطهر خطأ ... وينكح خطأ ... ويتربَّى خطأ ... ويسمع ويبصر خطأ..إلى آخر تلك الأخطاء : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

فهو يعتقد خطأ ... فَرْد يقول لا إله ... وآخر يعبد ثلاثة ... وثالث ربّه بشر أو صنم .

وهو يكتب خطأ كالكتب الإلحادية...والقصص الإجرامية والجنسية ، وهو يقرؤها في نفس الوقت.

وهو يأكل ويشرب مما حرم الله من خنزير وخمر ومخدِّرات أو ممَّا لم يذكر اسم الله عليه.

وهو يعمل خطأ ... فقد صنع الأسلحة الفتاكة ... والقنابل الذرية ...وهو يتعامل في تجارته بالغشِّ والاحتكار ... والرِّبا ... والقمار ... وأكل المال بالباطل .

وهو يعبد خطأ...تارة يعبد الأصنام والتماثيل...وتارة يعبد الأشخاص ... وتارة يعبد الهوى...وتارة يعبد الفرج...وتارة يعبد الدينار .

وهويلبس خطأ ... من الذكور والإناث حيث العري أو شبه العري إلا ما ندر .

وهو يتطهر خطأ ... حيث لا يعرف التطهر بالماء بعد قضاء الحاجة ... ولا يغسل يديه لا قبل الطعام ولا بعده ... ولا يغسل بدنه بعد الجماع.. فجمع مع الكفر قذارة البدن.

وهو ينكح خطأ ... حيث عقود الزَّواج تقوم على مبادئ الجاهلية ... إلى جانب العلاقات الجنسية المكشوفة في الأندية وبيوت الدعارة .

وهو يتربَّى خطأ ... حيث يتعلم الإلحاد ... والعلاقات الجنسية ... ووسائل الخداع ... والولاء للأرض أو الجنس أو اللون أو اللغة .

وهو يسمع ويبصر خطأ ... بما تبثه له وسائل الإعلام من المسرحيات الهابطة ... والأغاني الماجنة ... والأجساد العارية

التي تهيج الغرائز ... وتسبب السطو والاغتصاب وسائر فنون الإجرام : ﴿ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور/ ٤٠] .

والمجتمع يتقلب في حمأة الرَّذيلة ... من ترويج المسكرات والمخدَّرات ... وتسويق العاهرات ... والنزاعات الوطنية والإقليمية ... والنعرات العرقية ... والعصبيات القبليَّة .

فالأمَّة يأكل فيها القويُّ الضعيفَ ... بعضها في النعيم والمروج ... وبعضها في البؤس والفقر والجهل ... بعضها يرمي فائض الطعام في البحار ... والبعض الآخر يأكل الثرى من الحرمان : ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس/ ٦٠-٦٢] .

القوي يستعبد الضعيف ... يغتصب أرضه ... وينهب ثروته ، حيث لا دين ولا مبادىء ولا رحمة ... أطماع وتسلّط ... وحقوق مهدرة ... وأنظمة فاسدة ، من شيوعية وبعثية ... ورأسمالية ، وإلحادية ... وشرائع محرَّفة من يهودية ونصرانية ... وقتل وتشريد ... وحروب مدمِّرة في مواطن كثيرة من الأرض في فلسطين وفيتنام ... وفي كمبوديا وجنوب أفريقيا ... وفي الفليبين وسيريلانكا ... وفي أفغانستان وإيران ... وفي العراق والكويت ... فضلاً عما جرى على الإنسانية من ويلات تقشعر لها الأبدان خلال الحرب العالمية الأولى

والثانية : ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الرعد/ ٣١] .

فلا تنخدع بهذه الحياة ، ولا تغرنك تلك الجاهليات : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩٦-١٩٧] .

وهذه الجهالات والجاهليات ، ظن الجاهلية ، وحكم الجاهلية ، وحمية الجاهلة ، وتبرج الجاهلية ، هي أعظم رسائل الشيطان التي يجر بها الناس إلى جهنم: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٥٣] .

ولا نجاة من هذه الجاهليات أبداً إلا باتباع شريعة الله وحده : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨٥] .

ونحن لا نلوم هذه الأمَّة ، فإن أي أمَّة بلا منهج ينير لها الطريق ، ويمهد لها السبيل إلى المعالي والفضائل ، تفقد كثيراً من خصائص الإنسانية ، وتظل ترتع في الشهوات ... وتتخبط في الرذائل والآثام ... حتَّى تردَّت إلى أقل من رتبة البهائم : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان/ ٤٤].

وهذه الأعاجيب والأباطيل في حياة البشر لا غرابة فيها ، فإن أي أمَّة بلا منهج يظل أفرادها في الظلام والضلال البعيد هكذا: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد/ ١٢].

إنما الغريب على أمَّة أكرمها الله بالإسلام ، فقصرت في دعوة النَّاس إليه وهي تتلو قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

وتتلو قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل/ ١٢٥].

وقوله ﷺ : « بلِّغوا عنِّي ولو آية » أخرجه البخاري [1].

فنحن قبل أن نلوم هؤلاء ، ينبغي أن نلوم أنفسنا جميعاً على تقصيرنا في الدعوة إلى الله ، وعدم إيصال الحقِّ إليهم ، وعرضه عليهم كما أمرنا ربُّنا ، ودعا إليه رسولنا ﷺ : ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

الدعوة إلى الله رسالة لا تنقطع

إن رسالة الأمَّة الإسلاميَّة هي عبادة الله وحده ، والدَّعوة إلى الله.
والدَّعوة إلى الله وظيفة الأنبياء والرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام ، وهي من أفضل الأعمال وأحسنها : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣].
فقام بالدعوة النبي ﷺ وأصحابه من بعده ، وتلقَّاها الخلفُ عن السَّلف قرناً بعد قرن...وجيلاً بعد جيل... حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً .
فكيف حال الدَّعوة والدَّعاة في زمننا ؟
ماذا قدَّمنا للدَّعوة ...؟ وماذا يجب أن نقدِّم ...؟ وهل أعددنا أنفسنا للدَّعوة ...؟ وهل لدينا متخصصون في الدَّعوة لكلِّ جهة من جهات الأرض ...؟ هل حققنا عالمية الدَّعوة ...؟ هل درسنا أساليب الدَّعوة وأصولها ...؟ هل عرفنا كم يسلم كل عام ...؟ وما هي العقيدة التي بُلِّغت إليهم ...؟ أسئلة جديرة بالاهتمام والمتابعة .
نحن أمَّة لها الصَّدارة بين الأمم ... ولا صدارة إلا بقوة ...ولا قوة إلا برجال ... ولا رجال إلا بعقيدة ... ولا عقيدة سوى الإسلام : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨٥].

إنَّ دعوة الكفَّار إلى الإسلام هي رسالة كل مسلم : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٥].

والآية عامَّة في دعوة المسلمين والكافرين في كل زمان ومكان .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « بلِّغوا عنِّي ولو آية » أخرجه البخاري [1].

نحن وجميع أهل الأرض من البشر بنو رجل واحد ، وبنو امرأة واحدة ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[الحجرات/ ١٣] .

ولا فرق بيننا وبينهم إلا أننا أكرمنا الله بهذا الدين ، فأنزل علينا كتابه ، وأرسل إلينا رسوله ﷺ ، وهدانا إلى الإسلام فأصبحنا بفضل الله مسلمين نعيش في النُّور ، وننعم بالحق والعدل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

فما واجبنا نحو أمم الكفر من حولنا الذين يتخبطون في الظلمات ، ويقعون في المحرمات ؟

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

إن من أوجب الواجبات علينا دعوة هؤلاء إلى الإسلام بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، والهداية بيد الله ، وتلك وظيفة الأنبياء والرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩ ﴾ [الأحزاب/ ٣٩] .

إن أمر الدعوة إلى الله لا ينقطع أبداً ، ما دام الليل والنَّهار ، وما دام على ظهر الأرض إنسان : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

وحاجة البشرية إلى الإسلام أشد من حاجتهم إلى الهواء والطعام والشراب .

فلا بد أن يدخل نور الإسلام في كلِّ منزل ، لينتفع به كل فرد وكل أسرة في بقاع الأرض كلها .

أليس الكافر ميتاً ... والعاصي مريضا ...؟ فماذا فعلنا للميت ...؟ وماذا قدَّمنا للمريض ...؟

إن الطبيب لابد أن يختلط بالأمَّة،ويقدِّم الدواء للمحتاج ، وهذه مهمَّة الدُّعاة، نشر الإسلام مكان الكفر ... وزرع الخير مكان الشر ... والحقّ مكان الباطل ... والهدى مكان الضلال ... والفضيلة مكان الرَّذيلة: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

إن إقامة الحواجز والسدود بين أمَّة الإسلام وأمَّة الكفر يعني تحجير الدَّعوة ، وطاعة الشيطان ، ومعصية الرحمن ، فنور الشمس نعمة من الله

لكل أحد ، وكذلك الإسلام نعمة من الله لكل أحد ، لكن الله وكَّل الشمس بإنارة العالم ، ووكلنا نحن بنشر الهداية في العالم : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٨] .

فالإسلام كله نور وهدى ، ولا يزيل ظلمات الجاهلية إلا نورالإسلام ، فيجب علينا جميعاً إبلاغه لكل إنسان؛ ليسعد في دنياه وأخراه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

وإبلاغ هذا الدين طاعة لله ، وعدم تبليغه معصية لله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة/ ٦٧].

فكان عليه الصَّلاة والسَّلام يغشى بالدعوة مجالس قريش ، وأندية القوم في مكَّة والمدينة والطائف وغيرها في ليله ونهاره، وفي سفره وحضره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤٥-٤٨].

إنَّ الإسلام دين لسائر الأمَّة في مشارق الأرض ومغاربها في كل زمان ومكان ؟ لأنه الحق الذي يقوم على المحبة والرحمة والعدل ، جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النُّور ... فهل نبلِّغه لمن حولنا كما بلَّغه النبي ﷺ وصحابته الكرام من بعده ...؟: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ

﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦] .

إنَّ دعوة الكفَّار أمانة سنُسأل عنها يوم القيامة ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف/ ٤٣-٤٤].

إنه يتحرك الآن في العالم ما يزيد على نصف مليون من المنصِّرين لنشر دعوة الباطل في العالم ، ويتحرك فيه أيضاً مجموعات كبيرة من الجمعيات السرية والعلنية ، لنشر الفساد والإباحية والإلحاد بين شباب العالم ، تدعمهم جميعاً وسائل الإعلام المختلفة من قنوات وفضائيات ... وإذاعة وتلفزيون ... وصحف ومجلات ... وسينما ومسرح .

كل ذلك من أجل محاربة الفضيلة ونشر الرذيلة ، والقضاء على هذا الدِّين أو الحد من انتشاره : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة/ ٣٢] .

إن شياطين الإنس والجنِّ يعملون ليلاً ونهاراً ، سرّاً وجهاراً ، من أجل نشر دعوة الباطل ، وصدِّ المسلمين عن دينهم ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة/ ٢١٧].

يريدون أن تقف أمم الأرض في الكفر صفاً واحداً يسير خلف الشيطان إلى جهنم : ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء/ ٨٩].

يريدونها جاهلية مهلكة مدمرة ، يريدونها حيوانية سبعية إبليسية ، ترتع في الشهوات ، وتغشى المحرمات ، وتسفك الدماء : ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٦٤] .

فهل هم الظالمون ؟ أم نحن الظالمون الذين منعنا غيرنا حقه ؟: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد/ ٣٨] .

إن من ترك الدعوة إلى الله فقد خان الأمانة ، ونقض العهد ، واستحق العقوبة التي نزلت بمن سبقنا من الأمم إن لم يبادر إلى التوبة إلى ربه : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[المائدة/ ٧٨-٨١].

فماذا قدَّمنا نحن للإسلام ؟ وماذا يجب أن نعمل ؟

وما هي أخطاؤنا في الدعوة ...؟ وكيف نصححها ...؟ وما هي خططنا للمستقبل...؟ وكيف نتعامل مع غيرنا بمفهوم الإسلام ...؟ وكيف نقف صفّاً

واحداً بأخلاق الإسلام أمام غيرنا ...؟ ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/ ٢].

ألا ما أكثر الموتى والغرقى والحيارى والهلكى في أرض الله الواسعة .

هل نحن سبب من أسباب موتهم وغرقهم وحيرتهم وهلاكهم ...؟ .

هل نحن مسؤلون عمن مات ولم تصل إليه الدَّعوة ...؟

هل نعيش في النَّور وغيرنا في الظلمات ...؟

هل ننعم بشريعة الله وغيرنا يتخبط في شريعة الشيطان المهلكة ...؟

أهكذا أُمرنا ...؟ ألا ما أخطر الأمر ؟! : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٨٥] .

إن الغفلة عن الدَّعوة مصيبة كبيرة ، أول من يُسأل عنها العلماءُ والدُّعاة ، بل كل من نطق بكلمة التَّوحيد من رعاة ورعية: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر/ ٩٢-٩٣].

لله أعراض تنتهك هنا وهناك ... ودماء تسفك هنا وهناك ، وحروب تدمر الأمم ... وقتل بغير حق ... وفساد وظلم ... وحكم بغير ما أنزل الله يعمّ بقاع الأرض إلا ما رحم ربُّك :﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة/ ٤٩-٥٠] .

أيجهل هذا أحد ...؟ كلا ... لقد تكفلت وسائل الإعلام ، ووسائل الاتصال ، ووسائل النقل بنقل هذا ... أو الوقوف عليه وسماعه ورؤيته وجهاً لوجه ، ولحظة بلحظة .

إن أمَّة لا تهزها هذه المآسي قد ماتت فيها معاني الإنسانية الحقَّة : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد/ ١٦-١٧] .

إن رسول الله ﷺ دعا فكان إماماً للدعاة ، وسار بالدعوة إلى الله ، يبلغ دين الله في أرض الله شمالاً وجنوباً ... شرقاً وغرباً ، وتُوفي وترك لنا باقي الأرض لنسير على هديه ... ونسير بالدعوة كما سار ... ونجاهد في سبيل الله كما جاهد : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

والأمَّة بعلمائها ودعاتها وإن حققت بعض الشيء في مجال الدعوة إلى الله إلا أن الأمر جدير بالاهتمام والمتابعة ، وبذل كل جهد في هذا السبيل ، لنشر دين الله ، وصد طوفان الكفر : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ

عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[الحج/ ٧٨] .

إن أمر الدعوة إلى الله منصب شريف ، كلف الله به كل واحد من هذه الأمة ؛ لأنه نائب النبي ﷺ في أمته،ولأنه بمقدوركل مسلم ومسلمة ، فالدعوة إلى الله هي توضيح الواضحات ، بذكر الله أمام الناس ، وتعريفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ليعظموه ، وتعريفهم بنعمه ليحبوه ويحمدوه ، وتذكيرهم بوعده ليقبلوا على طاعته ، وتذكيرهم بوعيده ليجتنبوا معصيته : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف/ ١٠٨] .

فالدعوة إلى الله وظيفة كل مسلم ومسلمة : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة/ ٧١] .

وقد أشار القرآن إلى تأسيس من يقوم بالدعوة بأن يتدرج في تأهيل نفسه للدعوة بما يلي :

(١) الإيمان الصادق بالله .

(٢) العمل بأحكام الشرع والتأدُّب بآدابه أقوالاً وأعمالاً وأخلاقاً .

(٣) التَّواصي بالحقِّ بالدَّعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

(٤) التَّواصي بالصبر على مشاق الدعوة ، وتحمل الأذى في سبيل الله فقال سبحانه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ٣ ﴾ [العصر/ ١-٣].

إن مسئولية الدعوة إلى الله تقع على الأمَّة كافَّة ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

وهي تقع على العلماء والدعاة بشكل أخصّ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

إن أهل الباطل لا يستحون من نشر الرَّذيلة ، وتقديمها إلينا ، وبثِّ الأباطيل وترويجها بيننا ... فهل نستحي من تقديم الحقّ لهم ، ونسكت عمَّا أمر الله بإبلاغه للناس من الحق والبيِّنات والهدى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠] .

فعلينا أن نتوكل على الله ، وندعو إلى دينه ، ونجاهد في سبيله ، طاعة لله ... واتِّباعاً لرسوله ... وهداية للناس ... وإقامة للحجة ... : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ

ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

فلنعتصم بحبل الله ، وندعو إلى دينه ، ولا نستسلم للباطل وأهله : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾[الفرقان/ ٥٢].

ولنعلم جميعاً أن العزَّة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأن الله سبحانه بحوله وقوته سوف ينصر دينه ، ويعلي كلمته ، ويظهر دينه : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾[يونس/ ٦٥].

ولنتيقن أنه مهما نما زرع الباطل ... واتَّسعت أرضه ... وكثر أهله ... فإنه إلى أفول قطعاً ... وسيخلفه الحق ... فيحصد زرعه ... ويرث أرضه ... ويحبط كيده : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٨] .

فالإيمان بالله ، والتَّوكل عليه ، وطاعته وطاعة رسوله ﷺ ، سبيل العز والنَّصر والتَّمكين : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور/ ٥٥] .

وأرض أهل الباطل ستعود بالحقِّ إلى أهل الحقِّ : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٥] .

وقال النبي ﷺ مبيناً بقاء هذا الدِّين وأهله : « لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرين على الحقِّ ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمرُ الله وهم كذلك » أخرجه مسلم[1] .

وسيبلغ هذا الدين مشارق الأرض ومغاربها كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «إنَّ الله تعإلى زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكُها ما زُوِيَ لي منها » أخرجه مسلم[2].

فلنستبشر خيراً ، ولنكن ممن يبلغ هذا الدين ، ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وسوف ينصر الله دينه ، ويظهره على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٢٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٨٩).

أهميَّة الدَّعوة إلى الله

إن الدَّعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء والرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام ، وهي وظيفة هذه الأمةإلى قيام الساعة : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

والدعوة إلى الله هي أم الأعمال الصالحة كلها ، فبسببها يدخل الناس في الإسلام ، ويعملون بأحكام الإسلام ، ويتخلقون بأخلاق الإسلام ، وبترك الدعوة إلى الله يظل الكافر كافراً ، ويبقى المجرم مجرماً ، والفاسق فاسقاً وينقص الدين في حياة المسلمين .

ولأهمية الدعوة إلى الله أوجبها الله على هذه الأمة ، وشرفها بها ، ومدح وأثنى على القائمين بها بقوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت/ ٣٣].

والدعوة كما تحتاج إلى النِّيَّة الخالصة، والقلب السَّليم ، والعلم النافع ، تحتاج أيضاً إلى الصَّبر والحلم ... واللين والرِّفق ... وبذل المال والنَّفس ... ومعرفة الأحوال والعادات .

والدعوة إلى الله ليست طريقاً سهلاً ...بل هي طريق صعب على النفس.. لماذا ...؟ لأن الدَّاعي يطلب من النَّاس أن يتقيدوا بمنهج السَّماء ... بينما هم يريدون أن يتبعوا شهوات الأرض ... وشهوات الأرض تحقق لهم متعة عاجلة ... وإن كانت وقتية ... والدين يمنع الناس

من الانشغال بالمتع الوقتية الزائدة الزائلة ... ليعطيهم متاعاً أبدياً ... والدين لا يحرِّم إلا ما يضر خلق الله مادياً كان أو معنوياً: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾[المائدة/ ٣] .

فعلى كلِّ مسلم يرغب في الدَّعوة إلى الله أن يعرض نفسه – قبل أن يبدأ بهذا العمل الجليل – على الآيات القرآنية والسُّنَّة النبوية...ليكون قرآناً يتحرك بين الناس في أقواله وأفعاله ... في أخلاقه وآدابه ... في عبادته ومعاملته ... حتى لا تصطدم أقواله وأفعاله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف/ ٢-٣] .

وأساس ذلك كله هو صلاح القلب بالإيمان والتقوى كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام : «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب» متفق عليه [(١)] .

وعلامة صحة القلب أو مرضه تُعرف بأمور منها :

أولاً : عرض الأوامر والنواهي عليه ، فإن كان مسارعاً إلى أوامر الله ، مبتعداً عن نواهيه ، فهي علامة صحة وسلامة قلبه ... وإن كان واقعاً في محارم الله ، متقاعساً عن القيام بأوامر الله ، فهي علامة مرضه : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤ ﴾[الأنفال/ ٢-٤] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩) .

ثانياً : ومن علامات صحة القلب قبوله الأغذية النَّافعة من الطَّاعات والقربات ... وعدوله عن الأغذية الضَّارَّة من المعاصي والسَّيِّئات : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة/ ١٥-١٧] .

ثالثاً : ومن أخطر أمراض القلوب فتنة الشبهات التي تورث الشَّكَّ في الدِّين ، وتُوجب فساد الاعتقاد ... وفتنة الشَّهوات التي تورث تقديم الهوى على أمر الله ، وتُوجب فساد القصد والإرادة ... وهذان المرضان يأتيان من فضول الكلام ... وفضول النظر ... وفضول المخالطة ... وفضول الطعام .

فعلى الدَّاعية أن يحفظ لسانه من فضول الكلام ... ذلك أن خطر اللسان يأتي من طريقين :

الأول : خطر الكلام في الباطل .

الثاني : خطر السكوت عن الحقِّ .

فالمتكلم بالباطل شيطان ناطق ... والسَّاكت عن الحقِّ شيطان أخرس .

وطريق السَّلامة والنَّجاة أن نتكلم بالحقِّ،ونسكت عن الباطل : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء/ ٣٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » متفق عليه [1] .

والدَّعوة إلى الله تحتاج إلى الصَّبر ، وبذل النفس والمال ... وصدق الإيمان والتَّوكل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة/ ٢٤] .

والدعوة إلى الله من أهم المهمات ، وخاصة في هذا العصر الذي اجتمع فيه أهل الباطل لحرب الإسلام وأهله .

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : إن الدَّعوة إلى الله ﷻ اليوم أصبحت فرضاً عاماً وواجباً عاماً على جميع العلماء ، وعلى جميع الحكَّام الَّذين يدينون بالإسلام ، فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطَّاقة والإمكان ، بالكتابة ، والخطابة ، والإذاعة وبكل وسيلة استطاعوا ، وألَّا يتقاعسوا عن ذلك ، فإن الحاجة بل الضرورة ماسَّة اليوم إلى التَّعاون والاشتراك والتَّكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر ممَّا كان قبل ذلك ، لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكلِّ وسيلة للصَّدِّ عن سبيل الله والتشكيك في دينه ... فوجب على أهل الإسلام أن يقابلوا هذا النشاط المضلّ ، وهذا النشاط الملحد ، بنشاط إسلامي ، وبدعوة إسلامية على شتى المستويات ، والرَّسائل ، وبجميع الطرق الممكنة ، وهذا من باب أداء ما أوجب الله على عباده من الدَّعوة إلى سبيله [2] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥) ومسلم برقم (٤٧) .

(٢) كتاب الدعوة الإسلامية ، إصدار الندوة العالمية ص ٣٨٠ .

فضـل الدَّعـوة إلى الله

إن الدَّعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء والرُّسل: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب/ ٣٩] .

وقد ورد في فضل الدعوة إلى الله ، وفضل الدُّعاة إلى الله آيات وأحاديث كثيرة منها :

١- قال الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

٢- وقال الله تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

٣- وقال الله تعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

٤- وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾ [التوبة/ ٧١] .

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ،

ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » أخرجه مسلم [1].

وقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : «فوالله لَأَنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعَم » متفق عليه[2].

ففي الدَّعوة إلى الله فضل عظيم ، وثواب جزيل ... فكل من دخل في الإسلام بسبب دعوتك فلك مثل أجره وأجور من اتبعه إلى أن تقوم السَّاعة .

ولعلَّ من دَعْوته يصير داعية يوماً ما ... فيدعو أسرته إلى الإسلام ... وأقاربه وجيرانه ... وأهل قريته ... وقد يكون فيمن دعا دعاة وعلماء يدعون إلى الإسلام بألسنتهم وأقلامهم.

فله ثواب ذلك النهر الجاري بالحسنات إلى يوم القيامة ... ولك مثله وهكذا .

عن أبي مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « من دل على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعله » أخرجه مسلم [3].

اللهم اهدنا ، واهد بنا ، واجعلنا سبباً لمن اهتدى : ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف/ ١٧] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٤٧) .

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٩٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٤٠٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٨٩٣) .

حكم الدعوة إلى الله

الله عز وجل أكرم هذه الأمة بأن جعل أعمارها قليلة، وأعمالها مضاعفة، وذنوبها مغفورة، وعيوبها مستورة، وذلك من أجل قيامها بعمل الأنبياء.

والله عز وجل اختار هذه الأمة واجتباها من بين سائر الأمم، وكَرَّمها وشَرَّفها بهذا الدين، والدعوة إليه إلى يوم القيامة.

فالدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة، كلٌّ بحسب قدرته وعلمه.

والدعوة إلى الله مسؤولية الأمة، وحاجة الأمة، فبها يزيد الإيمان، ويهتدي الناس بإذن الله.

١ - قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨].

وهذا النص عام، مطلق في الزمان: ليلاً ونهاراً.. ومطلق في المكان: شمالاً وجنوباً.. وشرقاً وغرباً.. ومطلق في الجنس: العرب والعجم.. ومطلق في النوع: الرجال والنساء.. ومطلق في السن: الكبار والصغار.. ومطلق في اللون: الأبيض والأسود.. ومطلق في الطبقات: السادة والعبيد.. والأغنياء والفقراء..ومطلق في الأحوال: المقيم والمسافر، والمطلق والسجين، والصحيح والمريض.

فالدعوة لهؤلاء واجبة؛ لأنهم من الناس، وهذا الدين لكل الناس، والدعوة من هؤلاء إذا أسلموا واجبة ؛ لأنهم من أمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس.

٢- وقال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل/ ١٢٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم/ ٥٢].

٤- وقال النبي ﷺ يوم النحر في حجة الوداع مخاطباً جميع مَنْ آمن به من أصحابه عرباً وعجماً.. رجالاً ونساء.. أبيضهم وأسودهم.. غنيهم وفقيرهم.. سادتهم ومماليكهم: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ». متفق عليه[1].

٥- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». أخرجه البخاري[2].

وببذل الجهد لإعلاء كلمة الله ونشرها تحصل لنا الهداية كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

- **صفة الداعي الحق :**

الداعي الحق هو من جاء في قلبه اليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ويتكلم من قلبه بواسطة لسانه، فكلام الداعي إما دواء وإما داء. فإن كان يغرف من مشكاة النبوة، ويبلِّغ الوحي كما نزل باليقين مع

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٧٩).

(٢) **أخرجه البخاري** برقم (٣٤٦١).

التقوى، فكلامه دواء يشفي الله به السقيم، ويهدي كل ضال أراد الله هدايته.

قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

وإن كان يغرف من هواه، وأفعاله تخالف أقواله، فكلامه داء يضر نفسه، ويصرف غيره عن الحق، ويفتن الخلق.

قال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص/ ٥٠].

- **طرق الدعوة إلى الله:**

الدعوة إلى الله واجبة على جميع الأمة، من الرجال والنساء، كلٌّ بحسبه.

والدعوة إلى الله تكون بطريقين:

الأول: طريق اللين: وهو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإيضاح الأدلة والبراهين بأحسن أسلوب وألطفه.

وهذا الطريق هو المطلوب المشروع بداية ونهاية مع جميع الخلق.

قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل/ ١٢٥].

الثاني: طريق القوة والشدة: وهو الجهاد في سبيل الله ضد المستكبرين المعاندين والظالمين.

فإذا لم يستجب الكفار للدعوة تَعيَّن طريق القوة بالجهاد في سبيل الله، حتى تُفتح البلاد ، ويُعبد الله وحده، وتقام حدوده، وتزول الفتن ، ويكون الدين كله لله في ملكه ، ثم من شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، فلا إكراه في الدين.

فالجهاد في سبيل الله لا يكون إلا بعد إقامة الحجة على الناس بالدعوة إلى الله ليكون الدين كله لله.

١- قال الله تعالى : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾[البقرة/ ١٩٣].

٢- وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾[التحريم/ ٩].

٣- وقال الله تعالى : ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[البقرة/ ٢٥٦].

٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالهمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله ». متفق عليه[1].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٥)، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٢).

أصـول الدَّعـوة إلى الله

للدعوة أصول وقواعد ينبغي على الدَّاعية معرفتها حتى يسير في دعوته على الطَّريق الصَّحيح ، والمنهج السَّليم وهي كالتَّالي :

أولاً : موضوع الدعوة :

الله ﷻ بعث الأنبياء والرسل إلى الخلق ليعبدوا الله وحده بثلاثة أصول وهي :

الأول : تعريف الناس بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ليعظموه ويكبروه ، ويحبوه ويعبدوه ، وتعريفهم بنعمه وإحسانه ، ليحبوه ويشكروه ويعبدوه وحده لا شريك له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ [المدثر/ ١-٥] .

الثاني : تعريف الناس بالطريق الموصل إليه ، وهو دين الإسلام الذي أرسلهم الله به عقيدة وأحكاماً ، وأخلاقاً وآداباً : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢] .

الثالث : تعريف الناس بما لهم بعد القدوم على الله يوم القيامة من الوعد والوعيد ، فمن آمن بالله ، وأطاع أمره ، فله السعادة والأمن في الدنيا : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ٨٢] .

وله في الآخرة الجنة دار السلام ، ورضوان رب العباد : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢] .

ومن كفر بالله وعصاه ، فله الشقاء والعذاب في الدنيا : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦] .

وله النار يوم القيامة ، ولعنة رب العباد : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة/ ٦٨] .

فهذه أصول الدعوة إلى الله ، تعظيم الله وتكبيره بين الناس بذكر أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الجميلة ، ليعرف الناس ربهم ، فيكبروه ويعظموه ويحبوه ، فإذا عرفوا ذلك آمنوا به ، وإذا آمنوا به عبدوه وأطاعوه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة/ ٢١-٢٢].

فإذا عبدوه وأطاعوه أسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧] .

فالداعي من الأنبياء وأتباعهم بشير ونذير : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤٥-٤٦] .

يبشر الناس بالخير ، ويُعرِّفهم بالخير ، ويَعِدهم بالخير إن آمنوا وأطاعوا ربهم : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥] .

ويُعرِّفهم بأصول الشر من الكفر والشرك ، ويحذرهم منه ، ويُعرِّفهم بعقوبته : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأعراف/ ٤٠-٤١] .

ثانياً : الداعـي :

لا ريب أن الدَّعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء والرُّسل جميعاً : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل/ ٣٦].

وأفضل الدعاة وسيدهم هو نبينا محمد ﷺ ، نبيٌّ زكى الله عقله وقلبه، ولسانه ، وكتابه ، وجليسه فقال: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ

﴿ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[النجم/ ١-٥].

وقدوة كل داع إلى الله هو رسول الله ﷺ ، فقد كان ﷺ أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً ، وكان خُلقه القرآن ، يتخلق بأخلاقه ، ويتأدب بآدابه ، ويعمل بأحكامه ولكمال أخلاقه ، وحسن آدابه ، أثنى عليه ربه بقوله :
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يقتدي بالنبي ﷺ في جميع أحواله :
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

والنبي ﷺ أسوة لكل مسلم في أربعة أمور هي :
أن يقتدي به ﷺ في نيته وفكره .. وفي أقواله .. وفي أعماله .. وفي أخلاقه .

فمن اقتدى به في هذه الأمور فقد اهتدى إلى ما يحبه الله ويرضاه :
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾
[الأعراف/ ١٥٨] .

وأحسن حياة حياة الأنبياء والرسل ، وأحسن حياة الأنبياء والرسل حياة نبينا محمد ﷺ ، فهي أحسن حياة ، وأجمل حياة ، وأسهل حياة ، وأكمل حياة :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٨] .

وحياة النبي ﷺ تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

فرائض حياة .. وطريقة حياة .. ومقصد حياة .

ففرائض الحياة هي أركان الإسلام والإيمان ، والحقوق والواجبات الشرعية التي ظهرت في حياته ﷺ على أكمل وجه .

وطريقة الحياة هي الآداب الإسلامية ، والأخلاق الحسنة ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

ومقصد الحياة هي الدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، وهي أمور عشرة ذكرها الله بقوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤٥-٤٨] .

وفي حياتنا الآن فرائض الحياة ، وطريقة الحياة ، لكن مقصد الحياة الذي هو إبلاغ دين الله في أنحاء العالم تركه أكثر المسلمين ، فالتهبت واشتعلت نار الفساد والظلم في العالم ، وبدأت تأكل الأخضر واليابس في كل مكان وزمان : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم/ ٤١] .

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وهم القرن الأول الذين كانت في حياتهم أصول أربعة :

الدعوة إلى الله .. والعبادات بأنواعها .. وتعليم شرع الله .. والأخلاق الحسنة .

والدعوة إلى الله بدأت في حياة النبي ﷺ من أول يوم من بعثته إلى آخر يوم في حياته .

وفي بداية الدعوة في مكة لا توجد بعد الإيمان فريضة تزاحم فريضة الدعوة إلى الله ، وبعد الهجرة نزلت الأحكام في المدينة بأنواعها ، ففرح بها المؤمنون ، وشرق بها الكفار والمنافقون .

وهذه الأمة لكونها آخر الأمم ، وأفضل الأمم ، أعطاها الله أخلاق الأنبياء ، وأعمال الأنبياء ، وهي الدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، وتَوَّجها بأربعة تيجان :

تاج كنتم خير أمة أخرجت للناس .. وتاج هو اجتباكم.. وتاج وكذلك جعلناكم أمة وسطاً .. وتاج لتكونوا شهداء على الناس .

فهذه الأمة خير الأمم بما تحمله من هذه الصفات والأعمال التي جاء بها الأنبياء: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران/ ١١٠] .

فَعَلَّم الله هذه الأمة الدعوة قبل العبادة ، ورباها النبي ﷺ على الدعوة من أول يوم ، فأبو بكر قام بالدعوة من أول يوم ، وكذا خديجة وعلى وغيرهم من أوائل الصحابة رضي الله عنهم قبل نزول الفرائض والأحكام .

وقص الله على نبيه ﷺ قصص الأنبياء مع أممهم في مجال الدعوة إلى الله ليربيه على الدعوة ، وليعلم أمته أصول الدعوة ؛ لأنها مبعوثة كالأنبياء بالدعوة والعبادة :« إنما بُعثتم ميسرين » متفق عليه[1].

وقال الله ﷻ لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

فقام الصحابة رضي الله عنهم بالدعوة إلى الله من أول يوم إلى آخر يوم من حياتهم ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٠] .

وجميع المسلمين مُكلَّفون بالدَّعوة إلى الله كنبيهم ﷺ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٢٠)، ومسلم برقم (٢٨٥).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » أخرجه مسلم[1] .

فليست الدَّعوة وظيفة العلماء فقط ، بل هي أمر واجب على الجميع ... وإنما يختص العلماء بتفاصيل الأحكام ... وبيان المعاني الدقيقة ... ومسائل الاجتهاد ، نظراً لسعة علمهم ، ومعرفتهم بالمسائل والجزئيات ... والأصول والفروع ، فلهم التدريس والإفتاء مع الدعوة إلى الله .

وينبغي أن تكون عدة الداعي هي كتاب الله ﷻ ... وسنَّة رسوله ﷺ ... وسيرة السَّلف الصَّالح ... إلى جانب الفهم الدقيق ... ومعرفة أحوال المدعوين ... والإخلاص في القول والعمل .

وعلى الدَّاعي إلى الله أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة التي تجذب القلوب إليه كالصدق والأمانة ... والرفق والحلم ... والإحسان والوفاء ... والكرم والعفو ... والتقوى والصبر: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

وقال الله تعالى مبيناً خلق نبيه ﷺ إمام الدعاة والعلماء والعباد : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٩) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت النبي ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصَّائم القائم » أخرجه أبوداود [1] .

فالداعي حقاً من بذل كل شيء ، وترك كل شيء، من أجل نشر دين الله ، فيصل من قطعه ، ويعطي من حَرَمه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويحسن إلى من أساء إليه .

وينبغي أن لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال :

أن يكون عالماً بما يأمر به ، عالماً بما ينهى عنه ... وأن يكون عدلاً فيما يأمر به ، عدلاً فيما ينهى عنه ... وأن يكون رفيقاً فيما يأمر به ، رفيقاً فيما ينهى عنه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٦] .

والإمامة في الدِّين إنما تُنال بالصبر واليقين كما قال تعإلى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة/ ٢٤].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٨) .

كما أن على الدَّاعية أن يتجنب الأخلاق السيئة ، وخاصة أصول المعاصي،وهي:الكبر،والحرص،والحسد، فتلك منابع الشرور والفتن.
وعلى الدَّاعية أن يراعي الحكمة في دعوته ... ويعرف أحوال المدعوين ومستوياتهم فيدعوهم بما يناسبهم ... ويعطيهم بقدر حاجتهم ... ولا يحدثهم بما يفتنهم : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[النحل/ ١٢٥].
وقال الزهري : إذا طال مجلس الوعظ كان للشيطان فيه نصيب.
وعلى الدَّاعية أيضاً أن لا يستعجل قطف الثمار ، أو تأخذه الغيرة بعيداً عن الحكمة ، فيحدث بسبب ذلك ما لا تحمد عقباه من نفور أو صد أو سب : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٩] .
وليعلم كل داع إلى الله أن درجات إنكار المنكر أربع :
الأولى : أن يزول المنكر ويخلفه ضده .
الثانية : أن يقلّ وإن لم يزل بجملته .
الثالثة : أن يخلفه ما هو مثله .
الرابعة : أن يخلفه ما هو شر منه .
فالدرجتان الأوليان مشروعتان ... والثالثة موضع اجتهاد ... والرابعة محرمة .

فكن رؤوفاً رحيماً بالخلق ، لطيفاً في معاملتهم ، وليكن حظ المؤمن منك ألا تضره إن لم تنفعه ... وألا تغمه إن لم تسره ... وألا تذمه إن لم تمدحه ، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

فينبغي على الدَّاعية الانتباه لذلك كله ، لكي يفلح في دعوته ، وتؤثر في الناس صفاته ، فالحكيم إذا لم يدرك جميع المطلوب تنازل إلى بعضه ... وإذا لم يحصل ما قصده من الخير قنع باندفاع الشر ... وإذا لم يندفع كل الشر دفع بعضه وخففه ، يساير الأمور والأحوال ... لا تستفزه أوائل الأمور ، حتى ينفذ فكره إلى باطنها ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم/ ٦٠].

وعلى الدَّاعية أيضاً أن يراعي الأولويَّات في دعوته .

فالإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله من الإسلام ... والسِّواك من الإسلام ... وهنا يجب مراعاة الأولويَّات ... فتقدم الأصول على الفروع ... والكلي على الجزئي ... والقطعي على الظَّنِّي.

فالكافر يناقش في قضايا الإيمان ... ثم نخاطبه بالفروع والتَّكاليف الشَّرعية ... والمسلم الذي يفرط في الواجبات ، أو يفعل المحرَّمات ، قبل أن نخاطبه بالسنن والمستحبات ، علينا أن نجتهد في تقوية إيمانه ، ثم نخاطبه ليفعل الواجب ، ويترك المحرَّم ، ثم نرغبه في فعل السنن والمستحبات وهكذا .

والدعوة للداعي تركيزاً ، ولغيره تذكيراً ، فكل من دعا إلى الخير والهدى جاء في حياته قبل الناس : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

والدعوة من الداعي لغيره تذكيراً له بالعهدالذي أخذه الله على آدم وذريته: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٢] .

ولهذا قال الله لرسوله ﷺ: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [الغاشية/ ٢١].

وعلى الداعي إلى الله أن يعرف أحوال الناس ، ويختار الكلام والوقت المناسب لهم : ﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١١﴾ ﴾ [الأعلى/ ٩-١١] .

تلك بعض الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الدَّاعي إلى الله ... ليؤثر في دعوته ... ويكون قدوة لغيره في أقو له وأعماله واخلاقه : ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ

وَذُرِّيَّٰتِهِمْۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد/ ١٩-٢٤] .

ثالثاً : المدعــو :

إن الدَّعوة إلى الله عامة لجميع البشر ، وليست لجنس دون جنس ... أو لطبقة دون طبقة : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

فالإسلام يتعلق بالقلوب والجوارح ، وهذه يملكها كل إنسان ، ولا عبرة باختلاف الجنس ، واللون ، والنوع ، والوظيفة ، والوطن ، واللغة : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إنَّ الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم » أخرجه مسلم [(١)] .

ولذلك كان من أتباع الرسول ﷺ في العهد النبوي أبو بكر العربي ... وسلمان الفارسي ... وبلال الحبشي ... وصهيب الرومي ... كما كان من أتباعه الغني كعثمان ... والفقير كعمار ... والرجال والنساء ... والسادة والعبيد ... والقريب والبعيد:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء/ ١٠٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤) .

فدعوته عليه الصَّلاة والسَّلام عامَّة للعرب والعجم ... والأبيض والأسود ... والذَّكر والأنثى ... والأنس والجن ... وميدان التفاضل فيما بينهم هو التَّقوى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٣] .

وقد كان أفضل الدُّعاة نبينا ﷺ يأتي مجالس قريش وأنديتها ويدعوهم إلى الإسلام ... ويخرج إلى القبائل في منازلها ... ويعرض دعوته في المواسم على قبائل العرب ... وخرج إلى الطائف من أجل إبلاغ دين الله ... وهاجر إلى المدينة ... وجاهد في سبيل الله من أجل ابلاغ دين الله وإعلاء كلمة الله : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

فعلى الدَّاعي أن يقتدي بالرسول عليه الصَّلاة والسّلام .

فيأتي النَّاس في أماكنهم ومجالسهم ، وفي مدنهم وقراهم ، ويقدرهم ويكرمهم ويلطف بهم كما أمر الله موسى وهارون بالذهاب إلى فرعون : ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه/ ٤٣-٤٦] .

فالمدعو كالمريض يحتاج أن يقف عليه الطبيب ، ليتعرف على دائه ... ويصف له ما يناسبه من الدواء.

والمدعوون بشكل عامٍّ يختلفون من حيث قدراتهم العقلية ... وظروفهم الاجتماعية ... ومراكزهم القيادية ... وثقافتهم العامَّة ... كما يختلفون من حيث تقبلهم للدَّعوة ... وهم أصناف منهم الكافرون والمنافقون ... ومنهم العصاة من المؤمنين ... والأمراء والعامة ... وغيرهم .

والداعي إلى الله كالتاجر ، الأرض دكانه ، وجميع الناس زبائنه ، والإسلام سلعته ، والجنة ثوابه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة/ ٦٧] .

فعلى الداعية أن يراعي في دعوته الأوقات ، والحاجة ، والنشاط ، وأحوال المدعوين ، فيقدم لكل صنف ما يناسبه ، ويلبي حاجته ، حتى يُسمع قوله ... ويستجاب لدعوته ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ [الحج/ ٢٤].

رابعاً : أساليب الدعـوة :

يستمد الدَّاعية أساليب دعوته من القرآن الكريم ... والسُّنة النبوية ... وسيرة السَّلف الصالح.

إن أسلوب الدَّعوة المؤثر يقوم على تشخيص الداء أولاً ... ثم وصف العلاج ثانياً ، فإن طبيب الأبدان يتعرف على الداء أولاً ... ثم يصف العلاج ثانياً ... وكذا طبيب الأرواح والقلوب عليه أن يتعرف على الداء الذي تَفَشَّى في الأمَّة أياً كان نوعه ، سواء كان خطيراً كالشِّرك والكفر

والنفاق والإلحاد ... أو كبيراً كالظلم والفساد وكبائر الذنوب ... أو صغيراً كبعض المعاصي : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٥].

فلكلِّ داء دواء ... ولكل مرض علاج يختلف في كميته، ونوعيته ، وكيفيته عن غيره : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٩] .

فعلى الداعية مراعاة كل ذلك ليبلغ أمنيته ... ويفلح في دعوته .

وأخطر داء يصيب البشرية هو الكفر بالله ، والإقبال على الدنيا ، والإعراض عن الآخرة ، وطاعة الشيطان ، واتباع الهوى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء/ ١٣٦] .

من أجل هذا كان لبُ دعوة الرُّسل جميعاً دعوة النَّاس إلى عبادة الله وحده ، واجتناب عبادة ما سواه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل/ ٣٦] .

فعلى الداعية أن يُرغِّبَ الأمَّة في استعمال هذا الدَّواء ، وقبوله ، والانتفاع به ، لما يحقق لهم من رضا الله ، ومحبته ، والسعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ

عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨] .

كما أن عليه أن يحذرهم من ترك هذا الدَّواء ، وأنه يسبب غضب الله ، والشقاء في الدنيا والآخرة: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦] .

وعلى الدَّاعية أن يسعى في إزاحة الشبهات التي تكون سبباً في فشو هذه الأمراض ... ويسعى لإزالتها والقضاء عليها بالحكمة والموعظة الحسنة ... سواء كانت شبهة تخص الدَّعوة ... أو تخص الدعاة ... أو تخص المدعوين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يونس/ ٥٧] .

وعلى الدَّاعية أيضاً أن يتحلَّى – في دفع تلك الشبهات – بالحلم والصَّبر ، وأن لا ينتصر لنفسه ... فإنه إنَّما ينصر دين الله ، والله مع من ينصر دينه : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

وعلى الدَّاعية أيضاً : أن يتعهد من يدعوهم إلى هذا الدِّين فيعرِّفهم بأحكامه وحدوده ... ويفصل لهم ما يحتاجون ... ولا يكتفي بالقول «

إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان » أو « الدين يسر » أو « الكليات العامة » فهذه عمومات لا تكفي لفهم الإسلام ، فلابد من تعهدهم بالتربية والتعليم ، لتحصل لهم المناعة ضد العدوى التي تحيط بهم :
﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

وبعث النبي ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة قبل هجرته ليعلِّم أهلها القرآن ، ويدعوهم إلى الإسلام ... وظل رضي الله عنه يدعو إلى الإسلام ... ويعلِّم القرآن حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها من يذكر الله ... ويقرأ القرآن ... ويؤمن بالله ورسوله .

وتعهد الدَّاعية للمدعوين أمر لازم ، وإلا كانوا عرضة للإعراض والانقلاب عند أول فتنة أو امتحان : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج/ ١١].

وبذلك يصل الدَّاعية جميع من يدعو بكتاب الله العظيم ... وسنَّة الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام ... فتمتلئ قلوبهم بحقائق الإسلام ، وسماحته ، ونوره ، وهداه ، وشفاه ... وبذلك لا يبقى مع النور ظلمة ... ولا مع الهدى شك ... ولا مع الحق باطل : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ

ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦] .

وبالدعوة إلى الله تحيا قلوب الناس بالإيمان بالله ، وتتزين جوارحهم بالأعمال الصالحة ، وتتجمل نفوسهم بالأخلاق الحسنة : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

خامساً : وسـائل الدَّعـوة :

للدعوة إلى الله وسائل متعددة سواء كانت بواسطة العلماء أو بواسطة أي فرد أو مجموعة من المسلمين ... وهي بمجموعها تصب في مجرى واحد ، وتحقق هدفاً واحداً وهو الإيمان بالله ﷻ ، والعمل بكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق .

وهي وسائل يكمل بعضها بعضاً ... ومن أهم هذه الوسائل :

١- الدعوة إلى الله عن طريق اللقاءات المباشرة ، وذلك بإلقاء الخطب والدروس ... والمحاضرات والندوات ... في المساجد والمدارس ... والمعاهد والجامعات ... والمناسبات والمؤتمرات : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾﴾[الأحزاب/ ٣٩] .

وهذه ينبغي أن يُعدَّ لها إعداداً جيداً من حيث طريقة العرض ... وجمال الأسلوب ... ومناسبة الموضوع ... ومراعاة الأحوال ، لتؤتي ثمارها ،

وتبقى في النفوس آثارها : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٥] .

٢ – اللقاءات الفردية : فالمؤمن الحق هو الذي يستفيد من جميع أوقاته في العبادة ، والدعوة ، والتعليم ، والأعمال الصالحة ، والإحسان إلى الخلق .

فالدين ركنان : عبادة الحق ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء/ ٣٦] .

ورجل الدعوة كالغيث أينما حل نفع ... وكالنور يبدد الظلمات ... فالدعوة إلى الله همُّ المؤمن الحق ، يدعو إليها ليلاً ونهاراً ... يغشى بها المساجد والأسواق والمدارس والجامعات ... ويعلنها في المناسبات والمؤتمرات ... وهي هديته للناس في الطريق والمكتب ... وفي السيارة والطائرة ... وفي الفندق والمطعم ... ينقلها من مدينة إلى قرية ... ومن رجل إلى امرأة ... ومن كبير إلى صغير : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف/ ١٠٨] .

وتلك وظيفة الأنبياء والرسل ، والتجارة الرابحة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الصف/ ١٠-١٢] .

وقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : «فوالله لَأَنْ يهدي الله بك رجلاً

واحداً خير لك من حُمْر النَّعَم » متفق عليه[1].

وعن أبي مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « من دل على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعله» أخرجه مسلم [2].

اللهم اجعلنا من المجاهدين في سبيلك ، والداعين إلى دينك في كل زمان ومكان ما أبقيتنا.

٣- أن يكون الدَّاعية قدوة حسنة في أقواله وأفعاله ... في عباداته ومعاملاته ... في أخلاقه وآدابه ... في هيئته ومطعمه ... وفي مركبه ومسكنه ... وفي كل أحواله ، يمتثل ما أمر الله ،ويقف عند ما حرم الله ، قدوته من وصفه ربه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم/ ٤].

وسُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ فقالت : إن خُلُقَ نبي الله ﷺ كان القرآن. أخرجه مسلم [3].

يمتثل أوامره...ويقف عند حدوده ... ويتأدب بآداب ... ويتخلق بأخلاقه.

ولا تصطدم أقواله بأفعاله فيغضب عليه ربه ، وينفر منه الناس ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف/ ٢-٣].

٤ – الاستفادة من الطاقات البشرية ، والإمكانات المادية.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٩٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٩٣) .

(٣) أخرجه مسلم برقم (٧٤٦).

فالدعوة كما تحتاج إلى لسان البيلغ ... وقلم الكاتب ... ووعظ الواعظ ... تحتاج أيضاً إلى رأي الحصيف ... تستفيد منه في التخطيط والتنظيم ... ودراسة أحوال الأمم ... وعاداتها وتقاليدها ... وكيفية نقل الدعوة إليها ... كما تحتاج الدعوة أيضاً إلى مال صاحب المال ينفقه في سبيل الله ، وذلك لخدمة الدعوة ... وتأهيل الدعاة ... وإنشاء المساجد والمراكز الإسلامية ... وطبع الكتب والنشرات ... وعقد المؤتمرات التي تجمع علماء الأمَّة من كل مكان ، يتعاونون على نشر هذا الدين ... ويدرؤن عنه الشبهات والافتراءات التي تفتري على الإسلام وأهله من حين لآخر : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/ ١٥] .

وقد كان النبي ﷺ يستفيد من ذلك كله ، فيستفيد من صاحب المال ... ومن رأي الحصيف ... ومن لسان البليغ ... ومن قلم الكاتب ... ومن وعظ الواعظ ... وهكذا .

وتوفى عليه الصَّلاة والسَّلام وفي أصحابه العلماء ، والفقهاء ، والمحدثون ، والقراء ، والقادة ، والأمراء ، والقضاة وغيرهم : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠] .

والأعمال الصالحة بالنسبة للمسلم كثيرة ومتنوعة ، وهي تختلف أداءً وكميةً ونوعاً من مسلم إلى مسلم آخر ، ويفتح الله للناس منها حسب جهدهم بحكمته وعلمه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

فمن المسلمين مَنْ يعمل الأعمال الصَّالحة ، لكنه يتفوق ويبرز في واحد منها .

فمن الناس مَنْ سيد عمله الجهاد في سبيل الله ... فتراه في ساحة الجهاد من معركة إلى معركة ... ومن نصر إلى نصر ... يدافع عن دين الله ، ويطلب الشَّهادة في سبيله .

ومن المسلمين مَنْ سيد عمله الصَّلاة فرضاً كانت أو نفلاً ، يواظب على الفرائض والسنن فإذا نام الناس في الليل قام يناجي ربّه راكعاً وساجداً .

ومن المسلمين مَنْ سيد عمله الإنفاق في سبيل الله ، وتتبع فقراء المسلمين ، والإنفاق عليهم ... والمساهمة في المشاريع الخيرية .

ومن الناس مَنْ سيد عمله القراءة ، والكتابة ... فهو يقرأ ما لذَ وطاب من فنون العلم والمعرفة ... وآداب الأمم وأخلاقها ، ويكتب من الأفكار والأحكام ما ينفع كل مسلم .

ومن الناس مَنْ سيد عمله الدعوة إلى الله ... فتراه يدعو إلى الإسلام في المدن والقرى...في بلاد العرب والعجم ... الدعوة أعظم ما لديه، وهي هديته إلى الناس جميعاً ... فتراه يتنقل بها من مسجد إلى مدرسة

... ومن حديقة إلى جامعة ... ومن شارع إلى دار ... ومن سيارة إلى طائرة ... ومن أسرة إلى قبيلة : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

٥- الاستعانة بوسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة في حدود الشرع ، وفي عصرنا هذا حصل تقدم كبير في وسائل الإعلام ، ووسائل الاتصال ، مما جعل العالم أجمع بشتى أقطاره القريبة والبعيدة يبدو وكأنه قرية صغيرة يعرف أهلها أخبار الدنيا ، وما يجري على ظهر الأرض أولاً بأول ... تبصرها العيون ... وتسمعها الآذان ... وتتناقلها الألسنة .

لذا ينبغي استغلال هذه الوسائل ، والاستفادة منها في مجال الدعوة إلى الله ، وذلك لتوسيع دائرة الدعوة في أنحاء الأرض .

فعن طريقها لا نخاطب مئات أو آلافاً من البشر ... بل نخاطب أمم الأرض كلها في مشارق الأرض ومغاربها ... ونصل بالحق إلى كلِّ منزل و كلِّ أسرة عن طريق الإذاعة والتلفاز ... والصحيفة والمجلة ... والكتاب والنشرة وغيرها .

وقد عرف الأعداء أهمية وسائل الإعلام في التوجيه والتثقيف فزرعوا فيها الشر والفساد ... وهدموا القيم والأخلاق ... وسببوا الشرور والفتن بما يبثونه من الأباطيل ، والعقائد الفاسدة ، والصور السيئة ، والأفكار الضالة ، فضلوا وأضلوا ... وتضاعف الشر ... وعم أرجاء الأرض ... وعصف بالأخلاق والقيم .

فعن طريق هذه الوسائل تعم الدَّعوة الإسلامية أرجاء الأرض ... ويُسمع القرآن في كل مكان ... وتُنقل المحاضرات ، والندوات ، والمناسبات الإسلامية إلى الناس عامَّة...مسموعة،أومرئية،أومقروءة. وعن طريقها تُنشر الأحاديث النبوية ... وتُقدم القصص الدينية ... والغزوات الإسلامية...والآداب والفتاوي ، فيستفيد من مجموع ذلك : الصغار والكبار ... والذكور والإناث ... والعالم والجاهل ... والمطيع والعاصي ... والمؤمن والكافر ... والقريب والبعيد .

فلعلَّ من لا تصل إليه القدم يصل إليه الكتاب ... ومن لا يصل إليه الكتاب يصل إليه الصوت .

والدعوة إلى الله إنما تنشر بين الناس – مع النِّيَّة الخالصة – بالكلمة الطيبة ... والموعظة الحسنة ... والموقف الجميل ... والعفو عمن أساء ... والإحسان بالقول والعمل ... وإجابة الدعوة ... وأداء الأمانة ... وتقديم الهدية ... وزيارة المرضى ... ومواساة الفقراء ... وإكرام الضيف ... والأدب والاحترام ... وتكريم الأشراف ... والرفق واللطف ... والتبشير والتيسير : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤] .

فتلك ثمار لذيذة ، وجواهر ثمينة ... تحبها النُّفوس ... وتستلذها القلوب ... وتأسر العقول: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا

غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

والمؤمن حقاً من كانت فيه الصفات التي يحبها الله ، والتي اشترى الله المؤمنين بسببها وهي :

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة/ ١١٢].

والله سبحانه ذكر في القرآن قصة كل نبي وحده ، وأمرنا بالاقتداء به ، وذكر هذه الأمة مع نبيها ﷺ في مجال الإيمان فقال : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨٥] .

وفي مجال الدعوة إلى الله فقال : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة/ ٨٨-٨٩] .

وفي مجال العبادة فقال : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾[الفتح/ ٢٩] .

والدعوة إلى الله عمل عظيم ، ولا يكون عالمياً إلا إذا اجتمعت عليه جميع الأمة ، وبلَّغته لجميع الأمة : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

فكن أسبق الناس إلى هداية الناس : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

تلك أهم وسائل الدَّعوة إلى الله ، وهي بمجموعها تحتاج إلى إخلاص النية ... والصدق في القول والعمل ... والجهاد بالنفس والمال ... والصبر في كل حال ، فمن قام بذلك فهو نائب الرسول ﷺ في أمته ، قد ربح الجنة والرضوان ، ونجا من النار والخسران : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر/ ١-٣] .

نحــن .. والدعــوة إلى الله

إن المتأمل في حياتنا المعاصرة ليخيل إليه أن ساحة الدَّعوة إلى الإسلام إن لم تكن خالية فليس على بساطها إلا القليل .. نظراً لكثرة الفساد ... وفشو المنكرات ، وغلبة الجهل ... وغياب التوجيه ... وحتى يتبين لنا الأمر جليّاً لنسأل أنفسنا، ماذا عملنا؟وماذا يجب أن نعمل ؟ وما هي طاقاتنا وقدراتنا ؟ كم مساحة الإسلام في العالم ؟ وكم مساحة الكفر في العالم ؟

كم عدد سكان العالم الإسلامي ...؟ وكم عدد الدعاة منهم ...؟

وكم عدد الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي ...؟ وكم عدد كلياتها ؟ وكم عدد طلابها ...؟

وكم عدد الخريجين من كليات الشريعة والدعوة وأصول الدين والدراسات العليا ...؟

كم عدد الخريجين من المعاهد الدينية ، ومعاهد الدعوة ، وروضات المساجد ...؟

كم عدد هؤلاء جميعاً ؟ إنهم كثير... لكن أين هم ؟

إنهم موجودون لكن أين يعملون ...؟ إنهم يعملون في القطاع العام أو في القطاع الخاص ... كل يعمل بأجر يقوت منه نفسه وأهله ... وهذا لا عيب فيه ولا إثم .

إنما العيب أن يجعل الإنسان غايته في الحياة أن يعمل ويكسب ويأكل فقط ، وإنما الدنيا وسيلة إلى الآخرة ... والرزق وسيلة لغاية ، وهي عبادة الله ، والدعوة إلى دينه : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص/ ٧٧].

إنك لو طوفت اليوم في أرجاء العالم الإسلامي بأسره لما وجدت على بساط الدعوة إلا النزر اليسير من العلماء والدعاة الذين نذروا أنفسهم للدعوة إلى الله ، وبيان شرعه ... ولفظوا الدنيا حين ابتلعها غيرهم .

إن البارزين منهم لا يتجاوزون المائة ... ومن دونهم لا يتجاوزون بضعة آلاف ، ألا ما أقل الأطباء ... وأكثر الأمراض والمرضى .

كفر هناك ... وظلم هنا ... وفساد وطغيان ... وبدع وفتن ... وقتل وتشريد ... ونهب وسلب ... وذلك كله بسبب غياب الحق وأهله ... ونشاط الباطل وأهله .

إن نفساً لا تهزها هذه المآسي قد ماتت فيها معاني الإنسانية ، فضلاً عن الغيرة الدينية ، إن في ماضينا عبراً عظيمة ، وفي حاضرنا عِبَر أعظم وأخطر .

إن قلباً لا تؤلمه هذه الجراحات لقلب ميت : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد/ ١٦-١٧] .

إن في العالم الآن ما يزيد على نصف مليون من المنصرين يدعون إلى التنصير ... فكم الذين يدعون الآن إلى الإسلام من الدعاة ...؟ وإلى من يرجعون ...؟

هل أريدَ لأمَّة الإسلام أن تكون هكذا ...؟ أم أنها بنفسها تقاعست وغفلت ...؟ وسواء كان هذا أو ذاك فالأمر واقع ... والمصائب متوالية ... والحال خطيرة .

وإليك ما يندى له جبين كل مسلم يغار على دينه ... ويغضب لربِّه :

إن عدد سكان العالم الآن يزيد على سبعة مليارات نسمة ... أكثر من ثلثيهم كفار،أكثرهم لم تبلغهم الدعوة...يعبدون كل شيء من دون الله.

عدد الدعاة إلى الإسلام الآن بضعة آلاف ... وعدد المنصرين في العالم خمسمائة ألف تقريباً ... إلى جانب آلاف من دعاة العلمانية ، والشيوعية ، والبوذية وسائر الفرق الضالة .

إن ضحايا المذهب الشيوعي الروسي منذ قام في روسيا عام ١٩١٧ م بلغت ١٤٣ مليوناً منهم (٧٠) مليوناً في روسيا ... (٦٣) مليوناً في الصين الشعبية ... و (١٠) ملايين في باقي دول العالم التي وثب عليها المذهب الشيوعي .

أما في العالم الإسلامي نفسه فإن الباطل يزاحم الحق ... والرَّذيلة تسطو على الفضيلة ... تخلط بين الطيب والخبيث ... وتجمع بين الحسن والقبيح .

فهل يجتمع الليل مع النهار ... أو النور مع الظلام ...؟!: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المائدة/ ١٠٠] .

لقد أصيبت الأمة الإسلامية فوقعت فيما لا تحمد عقباه من خلط وتناقض ، وكفر وفساد ، والشر يزداد ، والعقوبات بالمرصاد : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٨٥] .

وهذا نموذج من الخلط الذي وقعت فيه الأمَّة بسبب ضعف الدُّعاة أو قلّتهم أو غيبتهم ، وهو في عامَّة ديار الإسلام إلا ما رحم ربُّك .

المساجد كثيرة ... ولكن يوجد أمثالها من المراقص ، ودور البغي ، وحانات الخمور السرية والعلنية.

وأهل الاستقامة كثيرون ... ولكن يوجد أضعافهم من المطربين ، والفنانين ، والسكارى ، والساقطين.

والنساء المتحجبات كثيرات ... ولكن يوجد أضعافهنَّ ممن نزعن الحجاب من المتهتِّكات والمغنيات ، والتَّافهات .

والصحف والمجلات الإسلامية كثيرة ... وبالمقابل يوجد أضعاف أضعافها من الصحف والمجلات التي تنشر الفساد ، وتسخر من الدين وأهله .

والبنوك الإسلامية حمل وديع في أرض مسبعة من البنوك الربوية .

ومعهد للعلم ... ومعهد للفن ... وكلية للشريعة ... وكلية للقانون ... وجمعية للبر... وجمعية للفنِّ ... وإذاعة للقرآن ... وإذاعة تحارب الإسلام ... وتسجيلات إسلامية ... وتسجيلات غنائية ... وفلم إسلامي ... وأفلام جنسية وترفيهية تهدم الأخلاق والقيم ... ومحكمة شرعية...ومحكمة مدنية... وهكذا مما لا يتسع له المجال :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج/ ٤٦] .

وازداد الأمر سوءاً ، حتى ظهر بين المسلمين من لا يصلي ... ومنهم من لا يصلي إلا يوم الجمعة ... ومنهم من لا يصلي إلا في الأعياد ... ومنهم من لا يدخل المسجد إلا إذا مات للصّلاة عليه ... ومنهم من لا يصلي ولا يصوم ... ومنهم من يأكل الرِّبا جهاراً ... ومنهم من يشرب الخمر أو يبيعها سرّاً أو جهاراً ... ومنهم من يزني ولا يبالي ... ومنهم من يأكل أموال النَّاس بالباطل صراحة رشوة أو سرقة.

أمراض خطيرة ... وأوبئة مخيفة تخنق الأمَّة ... وتعصف بكيانها ... وذلك بسبب غفلة الأمَّة ، وركونها إلى الشهوات ، وغياب التوجيه ، وقلَّة الدعاة .

فكثر الداء ، وعزَّ الدواء ... وانتشرت الأمراض ، وقلَّ الأطباء ... وكثر الأعداء ، وقلَّ الأصدقاء ... وكثرت المعاصي ، وقلت الطاعات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) ﴾ [الأنفال/ ٢٤-٢٥] .

بل أصبحت عند بعض المسلمين البدعة سنَّة ... والرذيلة فضيلة ... والمعروف منكراً والمنكر معروفاً ... والمحرم حلالاً ... والاحتيال فنّاً ... والخداع شطارة ... والنفاق تكيفاً ... وانتشرت العداوة والبغضاء ... وضربت الفتن بين الأمة ... وبدأ بعضها يهاجم بعضاً ... حتى صارت مسرحاً للخلافات ، والنزاعات ، والحروب الفكرية والمادية ... وموطناً للجهل والفقر والمجاعات : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٦٨) ﴾ [النساء/ ٦٦-٦٨] .

وبذلك أصبحت في وضع لا تحسد عليه ... وتلك جنايتها على نفسها ، وظلمها بأيديها: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) ﴾ [الروم/ ٤١] .

ومن يعمل سوءاً يجز به : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٤) ﴾ [يونس/ ٤٤].

فهل عرفنا أننا مصابون ... وإذا عرفنا أننا مصابون ... فهل نبحث عن العلاج ... لننجوا من هذه الظلمات ... وأين الدواء والشفاء ...؟

إنه بالتوجه إلى الله ... والتوبة إليه ... وطاعته وطاعة رسوله ﷺ بالاستقامة أولاً ... والعمل ثانياً ... والدعوة ثالثاً : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

ولنعلم جميعاً أن العزَّة لله ولرسوله وللمؤمنين ... وأن الله ﷻ سوف ينصرُ دينه ... ويعز كلمته رغم كيد الكائدين ، وسيبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار في مشارق الأرض ومغاربها : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٣].

فلنستبشر خيراً ، ولنكن ممن يبلغ هذا الدِّين ، ويدعو إليه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤-١٠٥] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣] .

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا فاغفر لنا ، واقبل توبتنا ، واستعملنا في طاعتك ، والدعوة لدينك .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢] .

كتبه الفقير إلى عفو ربه

محمد بن إبراهيم التويجري

فرغ المؤلف من مراجعته بعون الله في ١٥/ ٥/ ١٤٣٤ هـ

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة